ويـا رُبَّ شَـخـصٍ قـد دَهـتْـهُ مُـصـيـبـةٌ لـهـا الـقـلـبُ أمْـسَـى دائـمَ الـخـفـقـانِ
فَـيـطـلـبُ مَـنْ يـجـلـو صَـدَاهـا فـلا يَـرى وَلَـوْ كُـنْـتُ جَـلَّـتْـهـا يَـدي ولِـسَـانـي
وكَـمْ ظـالـمٍ نَـالـتْـهُ مـنّـي غَـضـاضـةٌ لِـنُـصـرةِ مَـظْـلـومٍ ضَـعـيـفِ جَـنـانِ
وكَـمْ خُـطَّـةٍ سَـامـتْ ذويـهـا مَـعـرَّةً أعِـيـدتْ بـضـربٍ مـن يَـدي وَطِـعَـانـي
فـإنْ يَـرْثـنـي مَـنْ كُـنْـتُ أجـمـعُ شَـمْـلَـهُ بِـتَـشْـتـيـتِ شَـمْـلـي فَـالـوفـاءُ رَثـانـي

ومن محاسنه التي جعلها السَّخاوي من جملة عيوبه ما نقله عنه أنه قال في وصف نفسه، أنه لا يخرج عن الكتاب والسنَّة، بل هو متطبِّعٌ بطباعِ الصحابة انتهى. وهذه منقبة شريفة ومرتبة منيفة.

١٣

(السيد إبراهيم بن القاسِم بن المُؤيّد باللَّه مُحمَّد ابن الإمام القاسم بن مُحمّد العلّامة الحافظ المُؤرِّخ)[1]

مصنف (طبقات الزيدية) وهو كتاب لم يؤلف مثله في بابه، جعله ثلاثة أقسام، (القسم الأول) في مَنْ روى عن أئمة الآل من الصحابة. و(القسم الثاني) فيمن بعدهم إلى رأس خمسمائة. و(القسم الثالث) في أهل الخمسمائة ومن بعدهم إلى أيامه. وذكر جماعة من أعيان القرن الثاني عشر. و(مات) فيه ولم أقف له على ترجمة. وقد ذكر في الكتاب المذكور مشايخه وما سمعه منهم. وكل طبقة من الطبقات الثلاث المذكورة جعلها على حروف المعجم.

١٤

(السيد إبراهيم بن مُحمَّد بن إسْحَاق ابن المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسِم بن مُحمَّد)

ولد سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، وأخذ العلم عن والده، وعن شيخنا السيد العلَّامة (عليّ بن إبراهيم بن عليّ بن إبراهيم بن أحمد بن عامر) وغيرهما. وجَدَّ في ذلك حتى صار من أعيان الزمن ومحاسن بني الحسن. له مكارم وفضائل وحسن أخلاق، واشتغال بالعلوم والعبادات، والقيام بوظائف الطاعات،

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١/ ٧٧؛ وفيه: «مؤرِّخٌ من أهل شهارة باليمن، أنفذه المنصور بن المتوكل حاكماً على «تعز»، فاستمر إلى أن توفي فيها». له ترجمة في: الأعلام: ١/ ٥٧؛ وفيه: توفي نحو ١١٤٣هـ/ نحو ١٧٣٠م.

وقضاء حوائج المحتاجين، والسعي في صلاح المسلمين ما لا يقدر على القيام به غيره. وكم تصل إليَّ منه رسائل ونصائح فيما يتعلق بشأن الدولة. ويأخذ عليّ أنه لا يحلُّ السكوت. وله رغبة في المباحثات العلمية شديدة، بحيث أنه لا يعرض البحث في مسألة من المسائل إلّا وفحص عنه وسأل وراجع. وكثيراً ما تَفِدُ عليّ منه سؤالات أجيب عنها برسائل، كما يحكي ذلك مجموع رسائلي. مع أنه، نفع اللَّه به، إذ ذاك عالي السن قد قارب السبعين، وأنا في نحو الثلاثين. وهذا أعظم دليل على تواضعه. ثم ما زال هذا دأبه إلى الآن، وهو صديقي وحبيبي، يدعوني إلى بيته المرَّة بعد المرَّة. وله في المكارم مسلك لا يقدر عليه غيره. وفي حسن الأخلاق وتفويض الأمور إلى المُهيمن الخلَّاق أمر عجيب. وقد أعانه اللَّه على برِّ والده، والقيام بواجب حقِّه، والمشي على ما يريده. وكان والده رحمه اللَّه رئيس آل إسحاق والمُتولِّي لأُمورهم بعد أن دعا إلى نفسه وبايعه الناس قاطبةً، ثم اختار اللَّه له التخلص من ذلك فما زال على رئاسة أهل بيته حتى مات. ثم قام ولده هذا مقامه أياماً فلم تطب نفس أخيه الأكبر السيد العلّامة أحمد بن مُحمَّد فخرج من صنعاء مغاضباً للإمام المهدي رحمه اللَّه. وسيأتي شرح ذلك في ترجمته إن شاء اللَّه تعالى. وحاصله أنه صار مكان والده، ورغب صاحب الترجمة عن الرئاسة الدنيوية فاستبدل بالخيل والخَوَل الزهد والتقشف، وترك زيّ أبناء جنسه من بيت الخلافة والمملكة، ومع هذا فله جلالة في القلوب ونبالة في النفوس وضخامة زائدة عند جميع الناس. إذا مرَّ به راكب من آل الإمام أو من أكابر الوزراء والأمراء والقضاة ترجَّل له وسلَّم عليه. وما رأيت مولانا الخليفة يجلُّ أحداً كإجلاله له، وهو حقيقٌ بذاك. وهو الآن حيٌّ ينتفع به الناس[1].

١٥

(إبراهيم بن مُحمَّد بن أبي بَكْر بن عليّ ابن مَسْعُود بن رَضْوَان المقدسي ثم القاهري الشافعي[2] أخو الكمال مُحمَّد الآتي ذكره)

ولد ليلة الثلاثاء ثامن عشر ذي القعدة سنة ٨٣٦ ستٍّ وثلاثين وثمانمائة ببيت المقدس، ونشأ به. فحفظ القرآن وهو ابن سبعٍ، وتلاه تجويداً لابن كثيرٍ، وأبي

(١) توفي صاحب الترجمة في الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٢٤١هـ (نيل الوطر في تراجم نبلاء القرن الثالث عشر).

(٢) ترجمته في: شذرات الذهب: ٨/ ١١٨ ـ ١٢٠؛ الكواكب السائرة: ١/ ١٠٢؛ الضوء اللامع: ١/ ١٣٤؛ معجم المؤلفين: ١/ ٨٨، الأعلام: ١/ ٦٦.